يوم في بيت الرسول

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:



الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

المقدمة

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق، والصلاة والسلام على إمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فإن غالب الناس في هذا الزمن بين غالٍ وجافٍ، فمنهم من غلا في الرسول ﷺ حتى وصل به الأمر إلى الشرك -والعياذ بالله- من دعا الرسول ﷺ والاستغاثة به، وفيهم من غفل عن اتباع هديه ﷺ وسيرته فلم يتخذها نبراسًا لحياته ومعلمًا لطريقه.

ورغبة في تقريب سيرته ودقائق حياته إلى عامة الناس بأسلوب سهل ميسر كانت هذه الورقات القليلة التي لا تفي بكل ذلك. لكنها وقفات ومقتطفات من صفات النبي ﷺ وشمائله، ولم أستقصها، بل اقتصرت على ما أراه قد تفلت من حياة الناس، مكتفيًا عند كل خصلة ومنقبة بحديثين أو ثلاثة، فقد كانت حياته ﷺ حياة أمة وقيام دعوة ومنهاج حياة.. وهو عليه الصلاة والسلام أمة في

الطاعة والعبـــادة، وكـــرم الخلق وحسن المعاملة، وشرف المقـام، ويكفي ثنـاء الله عز وجل عليه: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**.

وأهل السنة والجماعة ينزلون الرسـول ﷺ منزلته التي أنزله الله إياهـا، فهو عبد الله ورسـوله وخليله وصـفيه، يحبونه أكـثر من أولادهم وآبائهم بل أكثر من أنفسـهم لكنهم لا يغلـــون فيه ولا يطرونه وحســـبه تلك المنزلة.

ونحن على هـــذا الأمر ســـائرون فلا نبتـــدع الموالد ولا نقيم الاحتفـــالات، بل نحبه كما أمر ونطيعه فيما أمـــر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر.

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم
أغر عليه للنبوة خاتم
من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى
إذا قال في الخمس
وشق له من اسمه ليجله

فذو العرش محمود وهذا

وإن فاتنا في هذه الدنيا رؤية الحــبيب وتباعـدت بيننا الأيـام.. فـأدعو الله عز وجل أن نكـــون ممن قـــال فيهم الرســـول : «**وددت أنا قد رأينا إخواننا**» قـــــالوا: ألسنا إخوانك يا رسـول اللـه؟ قـال: «**أنتم أصــحابي، وإخواننا الــذين لم يــأتوا بعد**» فقـالوا: كيف تعـرف من لم يـأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهـــري خيل دهم بهم ألا يعـــرف خيلـه**»؟ قـالوا: بلى يا رسـول اللـه، قـال: «**فـــإنهم يـــأتون غـــرًا محجلين من الوضـــــوء، وأنا فـــــرطهم على الحوض**...»[1].

أدعو الله عز وجل أن يجعلنا ممن يتلمس أثــره ويقتفي ســـيرته وينهل من ســـــنته كما أدعو الله عز وجل أن يجمعنا معه في جنــات عــدن، وأن يجزيه الجــزاء الأوفى جزاء ما قدمـ وصــلى الله على نبينا

---

1 (?) رواه مسلم.

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

الزيارة

سنعود قرونًا خلت ونقلب صفحات مضت، نقرأ فيها ونتأمل سطورها، ونقوم بزيارة لرسول الله في بيته عبر الحروف والكلمات.. سندخل بيته ونرى حاله وواقعه ونسمع حديثه، نعيش في البيت النبوي يومًا واحدًا فحسب، نستلهم الدروس والعبر ونستنير بالقول والفعل.

لقد تفتحت معارف الناس وكثرت قراءتهم وأخذوا يزورون الشرق والغرب عبر الكتب والرسائل وعبر الأفلام والوثائق، ونحن أحق منهم بزيارة شرعية لبيت الرسول نطل على واقعه جادين في تطبيق ما نراه ونعرفه، ولضيق المقام نعرج على مواقف معينة في بيته، علنا نربي أنفسنا ونطبق ذلك في بيوتنا.

أخي المسلم:

نحن لا نعود سنوات مضت وقرونًا خلت لنستمتع بما غاب عن أعيننا ونرى حال من سبقنا فحسب، بل نحن نتعبد لله عز وجل بقراءة سيرته واتباع سنته والسير على نهجه وطريقه، امتثالاً لأمر الله عز وجل لنا

بوجــوب محبة رســوله الكــريم، ومن أهم علامــات محبته طاعته فيما أمر واجتنــاب ما نهى عنه وزجر.

يقــول الله عز وجل عن وجــوب طاعته وامتثال أمـره وجعله إمامًا وقـدوة: **﴿قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَـــــــــاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[1].

وقــال تعــالى: **﴿لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللَّهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَنْ كَـانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَــوْمَ الْآَخِـرَ وَذَكَـرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾**[2].

وقد ذكر الله طاعة الرســـــول واتباعه في نحو من أربعين موضــعًا في القــرآن[3] ولا سـعادة للعبـاد، ولا نجـاة في المعـاد إلا باتباع رسوله، **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُــولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَا وَذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ ***

1 (?) سورة آل عمران، الآية: 31.
2 (?) سورة الأحزاب، الآية: 21.
3 (?) مجموع فتاوى ابن تيمية 1/4.

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْـهُ نَـارًا خَالِـدًا فِيهَا وَلَـهُ عَـذَابٌ مُهِينٌ.

وجعل الرســـول حبه من أســـباب الحصــول على حلاوة الإيمــان فقــال عليه الصــلاة والســلام: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمـــان: أن يكـــون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**...»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**فوالـذي نفسي بيـده لا يـؤمن أحـدكم حـتى أكون أحب إليه من والده وولده**»[2].

وسـيرة الرسـول سـيرة عطـرة زكية منها نتعلم وعلى هديها نسير.

1 (?) متفق عليه.
2 (?) رواه مسلم.

الرحلة

الرحلة إلى حيث بيت الرسـول ورؤية دقائق حياته وأسـلوب معاملته أمر مشـوق للغاية كيف إذا احتسبنا فيه الأجر والمثوبـة. إنها عظة وعـبرة، وسـيرة وقـدوة، واتبـاع واقتـــداء، وهـــذه الرحلة رحلة بين الكتب ورواية على ألسـنة الصـحابة، وإلا فلا يجـوز شد الرحال إلى قـبر ولا بيت الرسـول ولا إلى غـــيره، ســـوى لثلاثة مســـاجد ذكرها الرسـول بقولـه: «**لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحـرام، ومســـــجدي هـــــذا، والمســـــجد الأقصى**»[1].

ويجب أن نمتثل أمر الرسول فلا نشد الرحـال إلا لهـذه المسـاجد الثلاثة والله عز وجل يقـــول: **وَمَا آَتَـــاكُمُ الرَّسُـــولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**.

ونحن لا نتتبع آثـــار النـــبي ، قـــال ابن وضـــاح: «أمر عمر بن الخطـــاب رضي الله

[1] (?) متفق عليه.

عنه بقطع الشجرة الـتي بويع تحتها النـبي فقطعها لأن الناس كـانوا يـذهبون فيصـلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة»[1].

وقـــال ابن تيمية رحمه الله عن غـــار حراء: وكان النبي قبل النبوة يتحنث فيــه، وفيه نــزل عليه الــوحي أولاً، لكن من حين نزل عليه الوحي ما صعد إليه بعد ذلــك، ولا قربه، لا هو ولا أصحابه، وقد أقـام بمكة بعد النبوة بضع عشرة سنة لم يزره ولم يصــعد إليــه، وكــذلك المؤمنــون معه بمكــة، وبعد الهجرة أتى مكة مرارًا في عمرة الحديبيــة، وعــام الفتح، وأقــام بها قريبًا من عشــرين يومًا وفي عمــرة الجعرانــة، ولم يــأت غـار حراء ولا زاره..»[2].

ها نحن نطل على المدينة النبوية وهــذا أكـبر معالمها البـارزة بـدأ يظهر أمامنـا، إنه جبل أحد الذي قــال عنه الرســول : «**هذا**

1 (?) القصة في البخاري ومسلم.
2 (?) مجموع الفتاوى 27/251.

جبل يحبنا ونحبه»[1].

وقبل أن نلج بيت الرسول ونرى بناءه وهيكله، لا نتعجب إن رأينا المسكن الصغير والفــراش المتواضع فــإن الرســول أزهد الناس في الدنيا وكان متقللاً منهــا، لا ينظر إلى زخارفها وأموالهــا: «**بل جعلت قــرة عينه في الصلاة**»[2].

وقد قال عن الدنيا: «**مالي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب ســار في يـــوم صـــائف، فاســـتظل تحت شـــجرة ســـاعة من نهـــار، ثم راح وتركها**»[3].

وقد أقبلنا على بيت الرســـــول ونحن نستحث الخطى سائرين في طرق المدينة، هــاهي قد بــدت حجر أزواج رســول الله مبنية من جريد عليه طين، بعضـــــــها من

---

1 (?) متفق عليه.
2 (?) رواه النسائي.
3 (?) رواه الترمذي.

حجـــارة مرضـــومة[1] وســـقوفها كلها من جريد.

وكـان الحسن يقـول: كنت أدخل بيـوت أزواج النـبي ﷺ في خلافة عثمـان بن عفـان فأتناول سقفها بيدي[2].

إنه بيت متواضع وحجر صــغيرة لكنها عـــــامرة بالإيمـــــان والطاعة وبـــــالوحي والرسالة!

***

1 (?) مرضومة: أي بعضها فوق بعض.

2 (?) الطبقــات الكــبرى لابن ســعد 1/499، 501، وانظر الســـيرة النبوية لابن كثـــير 2/274.

صفة الرسول

ونحن نقـترب من بيت النبـوة ونطـرق بابه اسـتئذانًا.. لنـدع الخيـال يسـير مع من رأى النـــبي يصـــفه لنا كأننا نراه، لكي نتعـــرف على طلعته الشـــريفة ومحيـــاه الباسم.

عن الـــبراء بن عـــازب رضي الله عنه قـــال: «**كـان النـبي أحسن النـاس وجهًـــا، وأحســـنهم خلقًـــا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير**»[1].

وعنه رضي الله عنه قال: «**كان النبي مربوعًا بعيد ما بين المنكـــبين، له شـعر يبلغ شـحمة أذنيـه، رأيته في حلة حمـراء لم أر شـيئًا قط أحسن منه**»[2].

وعن أبي إســحاق الســبيعي قـــال: «**سـأل رجل الـبراء بن عـازب: أكـان وجه رسول الله مثل السيف؟ قال:**

---

1 (?) رواه البخاري.
2 (?) رواه البخاري.

لا بل مثل القمر»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قـــــال: «**ما مسست بيــدي ديباجًا ولا حريــرًا، ولا شيئًا ألين من كف رســول الله ، ولا شممت رائحة أطيب من ريح رســول الله ** »[2].

ومن صفاته عليه الصلاة والسلام الحياء حتى قال عنه أبو سعيد الخــدري رضي الله عنــه: «**كــان أشد حيــاء من العــذراء في خــدرها، فــإذا رأى شــيئًا يكرهه عرفناه في وجهه**»[3].

إنها صـــفات مـــوجزة في وصف خلقة الرســـــول وخلقه وقد أكمل له الله عز وجل الخلق والخلق بأبي هو وأمي .

1 (?) رواه البخاري.
2 (?) متفق عليه.
3 (?) رواه البخاري.

كلام الرسول ﷺ

أما وقد رأينا الرسـول ﷺ وبعض صـفاته، لـنرا حديثه وكلامـه، وما هي صـفته وكيف هي طريقته لنسـتمع قبل أن يتحـدث عليه الصلاة والسلام.

عن عائشة رضي الله عنها قـالت: «**ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كـان يتكلم بكلام بين، فصـل، يحفظه من جلس إليه**»[(1)].

وكان هينًا لينًا يحب أن يفهم كلمه، ومن حرصه على أمته كـان يـراعي الفـوارق بين الناس، ودرجات فهمهم واسـتيعابهم، وهـذا يستوجب أن يكون حليمًا صبورًا.

عن عائشة رضي الله عنها قـالت: «**كان كلام رسـول الله ﷺ كلامًا فصـلاً يفهمه كل من يسمعه**»[(2)].

وتأمل رفق الرسـول وسـعة صـدره ورحابته وهو يعيد كلامه ليُفهم.

---

1 (?) رواه أبو داود.

2 (?) رواه أبو داود.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قـال: «**كـان رسـول الله يعيد الكلمة ثلاثًا لتعقل عنه**»[1].

وكـــان يلاطف النـــاس ويهدئ من روعهم، فالبعض تأخذه المهابة والخوف.

عن ابن مســعود رضي الله عنه قـــال: أتى النـــــــبي رجل فكلمه فجعل يرعد فرائصه فقـال له : «**هـون عليك فـإني لست بملـك، إنما أنا ابن امـرأة تأكل القديد**»[2].

***

1 (?) رواه البخاري.

2 (?) رواه ابن ماجه.

داخل البيت

أذن لنا واســتقر بنا المقــام في وسط بيت نبي هـذه الأمة عليه الصـلاة والسـلام، لنجيل النظر وينقل لنا الصـحابة واقع هـذا البيت من فرش وأثاث وأدوات وغيرها.

ونحن نعلم أن لا ينبغي إطلاق النظر في الحجر والـدور، ولكن للتأسي والقـدوة نرى بعضًا مما في هذا البيت الشـريف، إنه بيت أساسه التواضع ورأس ماله الإيمـــان، ألا تـــرى أن جدرانه تخلو من صـــور ذوات الأرواح التي يعلقها كثير من النـاس اليـوم؟ فقد قال عليه الصلاة والسـلام: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تصاوير**»[1]، ثم أطلق بصـرك لـترى بعضًـا مما كـان الرسول ﷺ يستعمله في حياته اليومية.

عن ثابت قال: أخرج إلينا أنس بن مالك قدح خشب، غليظًا مضببًا بحديد[2] فقال: يا

---

1 (?) رواه البخاري.

2 (?) مضـببًا بحديـد: أي مشـدودًا بضـباب من حديد لكي لا يتفرق الخشب.

ثابت هذا قدح رسول الله ﷺ[1].

وكــان ﷺ يشـــرب فيه المـــاء والنبيذ[2] والعسل واللبن[3].

وعن أنس رضي الله عنــــــــه: «**أن رســـــول الله ﷺ كـــــان يتنفس في الشــراب ثلاثًا**»[4]. يعــني: يتنفس خــارج الإناء.

ونهى عليه الصـــــلاة والســـــلام «**أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه**»[5].

أما ذلك الدرع الذي كـان يلبسه رسـول الله ﷺ في جهـــــــاده، وفي معاركه الحربية وأيام البأس والشدة، فلربما أنه غير موجود الآن في المـنزل، فقد رهنه الرسـول ﷺ عند يهودي في ثلاثين صاعًا من شـعير اقترضـها

---

1 (?) رواه الترمذي.

2 (?) قــال الحافظ في الفتح: المـــراد بالنبيذ المـذكور: تمـرات نبـذت في مـاء، أي: نقعت فيه، كانوا يفعلون ذلك لاستعذاب الماء.

3 (?) رواه الترمذي.

4 (?) متفق عليه.

5 (?) رواه الترمذي.

منه كما قالت ذلك عائشة[1] ومات الرسول والدرع عند اليهودي.

ولم يكن ليفجأ أهله بغتة يتخـــــونهم، ولكن كان يــدخل على أهله على علم منهم بدخوله، وكان يسلم عليهم[2].

وتأمل بعين فاحصة وقلب واع حـــديث الرســـول : «**طـــوبى لمن هـــدي إلى الإســـــلام، وكـــــان عيشه كفافًا وقنع**»[3]، وألق بسمعك نحو الحديث الآخر العظيم «**من أصـــبح آمنًا في ســربه**[4] **معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[5].

الأقارب

لنبي الأمة من الوفاء في صلة الــرحم ما لا يفي عنه الحــــديث؛ فهو أكمل البشر وأتمهم في ذلك، حـتى مدحه كفـار قـريش وأثنـوا عليه ووصـفوه بالصـادق الأمين قبل

---

1 (?) متفق عليه.
2 (?) زاد المعاد 2/381.
3 (?) رواه الترمذي.
4 (?) سربه: أي نفسه، وقيل: قومه.
5 (?) رواه الترمذي.

بعثته عليه الصلاة والسلام، ووصفته خديجة رضي الله عنها بقولهـا: «إنك لتصل الـرحم وتصدق...» الحديث.

هاهو عليه الصـلاة والسـلام يقـوم بحق من أعظم الحقـــوق وبـــواجب من أعلى الواجبات، إنه يزور أمه التي ماتت عنه وهو ابن سبع سنين.

قـــال أبو هريـــرة رضي الله عنـــه: زار النـــبي ﷺ قـــبر أمـــه، فبكى وأبكى من حوله فقال: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واســتأذنته في أن أزور قبرها فـــأذن لي، فـــزوروا القبور، فإنها تذكر الموت**»[1].

وتأمل محبته عليه الصـــلاة والســـلام لقرابته وحرصه على دعـــوتهم وهـــدايتهم وإنقـــاذهم من النـــار.. وتحمل المشـــاق والمصاعب في سبيل ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نــزلت هــذه الآيــة: ﴿**وَأَنْــذِرْ عَشِــيرَتَكَ**

---

1 (?) رواه مسلم.

الْأَقْـرَبِينَ[1]، دعا رســول الله قريشًــا فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، وقال: «**يا بــني عبد شمس، يا بني كعب بن لـؤي أنقـذوا أنفسـكم من النـار، يا بــني مـرة بن كعب أنقــذوا أنفســكم من النــار، يا بني عبد منـاف أنقـذوا أنفسـكم من النار، يا بني هاشم أنقـذوا أنفسـكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النـار، يا فاطمة أنقـذي نفسك من النــار، فـإني لا أملك لكم من الله شـــيئًا غـــير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها**[2]»[3].

وها هو الحــبيب لم يمل ولم يكل من دعوة عمه أبي طـالب فعـاود دعوته المـرة بعد الأخــــرى، حــــتى إنه أتى إليه وهو في ســياق المــوت: «لما حضــرت أبا طــالب الوفـاة دخل عليه النــبي وعنــده أبو جهل

[1] (?) سورة الشعراء، الآية: 214.

[2] (?) أي: أصلكم في الـدنيا ولا أغـني عنكم من الله شيئًا.

[3] (?) رواه مسلم.

وعبد الله بن أبي أمية فقال: **«أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل»**، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ قال: فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به، على ملة عبد المطلب».

فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**[1] قال: ونزلت: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾**[2]»[3].

لقد دعاه الرسول ﷺ في حياته مرات ومرات، وفي اللحظات الأخيرة عند موته، ثم أتبعه الاستغفار له برًا به ورحمة حتى نزلت الآية، فسمع وأطاع

1 (?) سورة التوبة، الآية: 113.
2 (?) سورة القصص، الآية: 56.
3 (?) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

عليه الصلاة والسـلام وتوقف عن الـدعاء للمشـــركين من قراباتـــه، وهــذه صـــورة عظيمة من صـــــور الرحمة للأمة ثم هي في النهاية صـورة من صـور الـولاء لهـذا الـــدين والـــبراء من الكفـــار والمشـــركين حتى وإن كانوا قرابة وذوى رحم.

نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل، والأوثان في
فأمسى سراجًا مستنيرًا
يلوح كما لاح الصقيل
وأنذرنا نارًا وبشر جنة
وعلمنا الإسلام فلله نحمد

الرسول في بيته

بيت الإنسـان هو محكه الحقيقي الـذي يـبين حسن خلقـه، وكمـال أدبـه، وطيب معشره، وصـفاء معدنـه، فهو خلف الغـرف والجـــدران لا يـــراه أحد من البشر وهو مع مملوكه أو خادمه أو زوجته يتصــــرف على الســـجية وفي تواضع جم دون تصـــنع ولا مجـاملات مع أنه الســيد الآمر النـاهي في هــذا الــبيت وكل من تحت يــده ضــعفاء، لنتأمل في حال رسـول هـذه الأمة وقائـدها ومعلمها كيف هو في بيته مع هذه المنزلة العظيمة والدرجة الرفيعـة! «قيل لعائشـة: مـاذا كـان يعمل رسـول الله في بيتـه؟ قـالت: **كـان بشـرًا من البشـر: يفلي ثوبه ويحلب شاته، ويخدم نفسه**»[1].

إنه نموذج للتواضع وعدم الكـبر وتكليف الغير، إنه شريف المشـاركة ونبيل الإعانـة، وصـفوة ولد آدم يقـوم بكل ذلـك، وهو في هذا البيت المبـارك الـذي شع منه نـور هـذا

1 (?) رواه أحمد والترمذي.

الـــــدين لا يجد ما يملأ بطنه عليه الصــــلاة والسلام.

قـال: النعمـان بن بشـير رضي الله عنه وهو يــذكر حــال النــبي عليه أتم الصــلاة وأزكى التسليم: «**لقد رأيت نبيكم وما يجد من الدقل[1] ما يملأ بطنه**»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قـــــالت: «**إن كنا آل محمد نمكث شــــــهرًا ما نســــــتوقد بنــــــار إن هو إلا التمر والماء**»[3].

ولم يكن هنـاك ما يشـغل النـبي عن العبـادة والطاعـة.. فـإذا سـمع حي على الصلاة حي على الفلاح لبى النـداء مسـرعًا وترك الدنيا خلفه.

عن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها، ما كـان النـبي يصـنع في الـبيت؟ قـالت: «**كـان يكـون في مهن**

---

1 (?) الدقل: رديء التمر.
2 (?) رواه مسلم.
3 (?) رواه البخاري.

أهله، فإذا سمع بالأذان خرج»[1].

ولم يـؤثر عنه أنه صـلى الفريضة في منزله ألبتة، إلا عندما مـرض واشـتدت عليه وطـأة الحمى، وصـعب عليه الخـروج وذلك في مرض موته .

ومع رحمته لأمته وشـفقته عليهم إلا أنه أغلظ على من تــرك الصــلاة مع الجماعة فقـال : «**لقد هممت أن آمر بالصـلاة فتقام ثم آمر رجلاً أن يصلي بالناس ثم أنطلق معي برجــال معهم حــزم من حطب إلى قــــوم لا يشـــــهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم**»[2].

وما ذاك إلا من أهمية الصـــــــــلاة في الجماعة وعظم أمرها. قال : «**من سـمع النـداء فلم يجب فلا صـلاة له إلا من عذر**»[3]، والعذر خوف أو مرض.

فأين المصلون اليـوم؟ بجـوار زوجـاتهم وقد تركوا المساجد!!! أين عذر المــرض أو

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) متفق عليه.

3 (?) رواه ابن ماجه وابن حبان.

الخوف!!!

هديه وسمته ﷺ

حركة الإنســـان وســـكنته علامة على عقله ومفتاح لمعرفة قلبه.

وعائشة أم المؤمـــنين ابنة الصـــديق رضي الله عنهما خير من يعرف خلق النـبي ﷺ، وأدق من يصف حاله عليه الصـــــــلاة والســـــلام فهي القريبة منه في النـــــوم واليقظة والمـــــرض والصـــــحة، والغضب والرضا.

تقـــول أم المؤمـــنين عائشة رضي الله عنهـــــــــا: «**لم يكن رســـــــــول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخابًا في الأســـواق ولا يجـــزي بالســـيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح**»[1].

وهــذا خلق نــبي الأمة الرحمة المهــداة والنعمة المســداة عليه الصــلاة والســلام يصف لنا ســـبطه الحســـين رضي الله عنه بعضًا من هديه ﷺ حيث قال: ســألت أبي عن ســير النــبي ﷺ في جلســائه، فقــال: «كــان

1 (?) رواه أحمد.

النبي دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ غليظ ولا صخاب، ولا عياب، ولا مشاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه، ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدًا ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: «**إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه**»[1]، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام»[2].

1 (?) أي: أعينوه.
2 (?) رواه الترمذي.

تأمل في سجايا وخصال نبي هـذه الأمة واحـدة تلو الأخـرى.. وأمسك منها بطـرف وجاهد نفسك للأخذ منها بسهم فإنها جمـاع الخير!

وكـان من هديه تعليم جلسـائه أمـور دينهم.. ومن ذلك أنه قـال: **«من مـات وهو يـدعو من دون الله ندًا دخل النار»**[1].

ومنه قوله عليه الصـلاة والسـلام: «**المسـلم من سـلم المسـلمون من لسـانه ويـده، والمهـاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[2].

وقوله : «**بشـروا المشـائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**جاهـدوا المشـركين بـأموالكم وأنفسـكم**

---

1 (?) رواه البخاري.
2 (?) متفق عليه.
3 (?) رواه الترمذي وأبو داود.

وألسنتكم»[1].

وعنه ﷺ: أنه قال: « **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**»[2].

وقال ﷺ: «**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**»[3].

وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»[4]. والإطراء: هو مجاوزة الحد في المدح.

وعن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت**

---

1 (?) رواه أبو داود.

2 (?) متفق عليه.

3 (?) رواه مسلم.

4 (?) متفق عليه.

أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كـان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مسـاجد، ألا فلا تتخذوا القبـور مسـاجد فـإني أنهاكم عن ذلك»[1].

وعلى هـــذا فلا تجـــوز الصـــلاة في المساجد التي فيها قبر أو قبور.

1 (?) رواه مسلم.

بناته

كـــانت ولادة الأنـــثى في الجاهلية يومًا أسـود في حيـاة الوالـدين، بل وفي حيـاة الأسرة والقبيلة، وسـار الحل بهـذا المجتمع إلى وأد البنـات وهن أحيـاء خـوف العــار والفضيحة، وكان الوأد يتم في صور بشـعة، قاسية ليس فها للرحمة مـوطن ولا للمحبة مكـان، فكـانت البنت تـدفن حيـة، وكـانوا يتفننــــون في تلك الجريمة فمنهم من إذا ولـــدت له بنت تركها حـــتى تكـــون في السادسة من عمرهـــا، ثم يقـــول لأمهـــا: طيبيها وزينيها حـتى أذهب بها إلى أحمائهـا، وقد حفر لها بـــئرًا في الصـــحراء فيبلغ بها البئر، فيقول لهـا: انظـري فيهـا، ثم يـدفعها دفعًا ويهيل عليها التراب بوحشية وقسوة.

وفي وسط هذا المجتمع الجاهلي خــرج الرسـول بهـذا الـدين العظيم الـذي أكـرم المـــرأة أمًا وزوجة وبنتًا وأختًا وعمـــة، وقد حظيت البنات بحب رسـول الله فقد كـان إذا دخلت عليه فاطمة ابنته قــام إليها فأخذ

بيـدها فقبلها وأجلسـها مجلسـه، وكـان إذا دخل عليها قـامت إليه فأخـذت بيـده فقبلته وأجلسته في مجلسها[1].

ومع محبة النـبي عليه الصـلاة والسـلام لبناته وإكرامه لهن إلا أنه رضي بطلاق ابنتيه أم كلثـوم ورقية صـابرًا محتسـبًا من عتبة وعتيبة ابني أبي لهب بعد أن أنزل الله فيه **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَب﴾**، وأبى ﷺ أن يترك أمر الدعوة أو أن يتراجع فـإن قريشًـا هددت وتوعدت حتى طلقت بنـتي الرسـول عليه الصـلاة والسـلام وهو ثـابت صـابر لا يتزعزع عن الدعوة لهذا الدين.

ومن صور الـترحيب والبشاشة لابنته ما روته عائشة رضي الله عنها حيث قـــالت: كن أزواج النـبي ﷺ عنـده، فـأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ما تخطيء مشـيتها من مشـية رسـول الله ﷺ شـيئًا فلما رآها رحب بها وقـال: «**مرحبًا بـابنتي**» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله[2].

---

1 (?) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

2 (?) رواه مسلم.

ومن عطفه ومحبته لبناته زيـــــــارتهن وتفقد أحـــــوالهن وحل مشـــــاكلهن.. أتت فاطمة رضي الله عنها النــبي تشــكو إليه ما تلقى في يـــديها من الـــرحى وتســـأله خادمًـــا، فلم تجـــده، فـــذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فلما جاء الرســـول أخبرته قال علي رضي الله عنه: فجاءنا وقد أخـــذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقــال: «**مكانكما**» فجــاء فقعد بيننا حــتى وجــدت بــرد قدميه على صدري، فقال: « **ألا أدلكما على ما هو خـــير لكما من خـــادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكـــــبرا أربعًا وثلاثين وســـــبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمـــدا ثلاثًا وثلاثين فهـــذا خير لكما من خادم**»[3].

ولنا في رسول الله أسـوة حسـنة في صـبره وعـدم جزعه فقد تـوفي جميع أبنائه وبناته في حياته -عـــــــدا فاطمة رضي الله عنها- ومع هذا فلم يلطم خدًا ولم يشق ثوبًا

[3] (?) رواه البخاري.

ولم يقم المــآدب وســرادقات التعزيــة، بل كـان عليه الصـلاة والسـلام صـابرًا محتسـبًا راضيًا بقضاء الله وقدره.

وقد عهد إلينا بوصـية عظيمة وأحـاديث جليلة هي ســــلوة للمحـــــزون وتنفيس للمكروب، منها قوله ﷺ: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجـرني في مصـيبتي واخلف لي خيرًا منهـا، إلا أخلف الله له خـــــيرًا منها**»[1] . وقد جعل الله عز وجل كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب: «إنا لله وإنا إليه راجعــــــون» ملاذًا وملجأ لذوي المصـائب، واجـزل المثوبة للصـابرين وبشــرهم بثــواب من عنــده تعــالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ .

***

1 (?) رواه مسلم.

معاملة الزوجة

في دوحة الأسـرة الصـغيرة تبقى الزوجة مربط الفـرس وجـذع النخلة والسكن والقرب.

يقول الرسول ﷺ: «**الدنيا كلها متـاع، وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة**»[1].

ومن حسن خلقه وطيب معشـره عليه الصلاة والسلام، نجـده ينـادي أم المؤمـنين بـترخيم اسـمها ويخبرها خـبرًا تطـير له القلوب والأفئدة!

قـالت عائشة رضي الله عنهـا: قـال رسـول الله ﷺ يومًـا: « **يا عـائش! هـذا جبريل يقرئك السلام**»[2].

بل هـذا نـبي الأمة ﷺ وأكملها خلقًا وأعظمها منزلـة، يضـرب صـورًا رائعة في حسن العشـرة ولين الجـانب ومعرفة الرغبـات العاطفية والنفسـية لزوجتـه، وينزلها المنزلة التي تحبها كل أنثى وامـرأة لكي تكون محظية عند زوجها!

---

1 (?) صحيح الجامع الصغير.

2 (?) متفق عليه.

قــالت عائشة رضي الله عنهــا: « كنت أشــرب وأنا حــائض، فأناوله النــبي ، فيضع فـــاه على موضع في فيشـــرب، وأتعـــرق العـــرق[1] فيتناوله ويضع فـــاه على موضع في»[2].

ولم يكن كما زعم المنـــافقون واتهمه المستشرقون بتهم زائفة وادعاءات باطلة.. بل ها هو يتلمس أجمل طـــــــرق العشر الزوجية وأسهلها.

عن عائشة رضي الله عنهـا: «إن النـبي قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصـلاة ولم يتوضأ»[3].

والرســول في مــواطن عــدة يوضح بجلاء مكانة المــرأة الســامية لديه وأن لهن المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعــة، ها هو يجيب على ســؤال عمــرو بن العــاص رضي الله عنه ويعلمه أن محبة الزوجة لا تخجل الرجل الناضج السوي القويم.

1 (?) أي آخذ ما على العظم من اللحم.
2 (?) رواه مسلم.
3 (?) رواه أبو داود والترمذي.

عن عمرو بن العـاص أنه قـال لرسـول الله ﷺ: أي النـــاس أحب إليـــك؟ قـــال: «**عائشة**»[1].

ولمن أراد بعث الســـعادة الزوجية في حياته عليه أن يتأمل حـــديث أم المؤمـــنين رضي الله عنها وكيف كـــان عليه الصـــلاة والسلام يفعل معها.

عن عائشة رضي الله عنها قـــــالت: «**كنت أغتسل أنا ورســول الله ﷺ من إناء واحد**»[2].

ونـبي هـذه الأمة ﷺ لا يـترك مناسـبة إلا اسـتفاد منها لإدخـال السـرور على زوجته وإسعادها بكل أمر مباح.

تقـول عائشة رضي الله عنهـا: خـرجت مع رســول الله ﷺ في بعض أســفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبـــدن، فقـــال للنـــاس: «تقـــدموا» فتقـــدموا ثم قـــال: «**تعــالي حــتى أســابقك**» فســابقته

---

1 (?) متفق عليه.

2 (?) رواه البخاري.

فسبقته، فسكت عني حتى حملت اللحم، وبدنت وسمنت وخرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس «**تقدموا**» ثم قال: «**تعالي أسابقك**» فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «**هذه بتلك**»[1].

إنها مداعبة لطيفة واهتمام بالغ، يأمر القوم أن يتقدموا لكي يسابق زوجته، ويدخل السرور على قلبها، ثم ها هو يجمع لها دعابة ماضية وأخرى حاضرة، ويقول: «**هذه بتلك**»!

ومن ضرب في أرض الله الواسعة اليوم وتأمل حال علية القوم ليعجب من فعله ﷺ وهو نبي كريم وقائد مظفر وسليل قريش وبني هاشم، في يوم من أيام النصر قافلاً عائدًا منتصرًا يقود جيشًا عظيمًا، ومع هذا فهو الرجل الودود اللين الجانب مع زوجاته أمهات المؤمنين، لم تنسه قيادة الجيش ولا طول الطريق ولا الانتصار في المعركة أن معه زوجات ضعيفات يحتجن

---

1 (?) رواه أحمد.

منه إلى لمسة حانية وهمسة صادقة تمسح مشقة الطريق وتزيل تعب السفر!

روى البخـاري أنه ﷺ لما رجع من غـزوة خيبر وتزوج صفية بنت حيي رضي الله عنها كـان يـدير كسـاء حـول البعـير الـذي تركبه يســترها بـــه، ثم يجلس عند بعـــيره فيضع ركبته فتضع صــفية رجلها على ركبته حــتى تركب.

كـان هـذا المشـهد مـؤثرًا يـدل على تواضــعه ﷺ، لقد كـــان ﷺ وهو القائد المنتصر والنــبي المرسل يعلم أمته أنه لا ينقص من قــدره ومن مكانته أن يــوطئ أكنافه لأهله وأن يتواضع لزوجته، وأن يعينها ويسعدها.

ومن وصــاياه عليه الصــلاة والســلام لأمتــــه: «**ألا واستوصـــوا بالنســـاء خيرًا**»[1].

---

1 (?) رواه مسلم.

تعدد الزوجات

تزوج رسول الله ﷺ إحدى عشرة امرأة، تـدثرن باسم أمهـات المؤمـنين، ومـات عن تسع نســاء وياله من شــرف عظيم ومنزلة رفيعة حظيت بها تلك النســاء الكريمــات، ولقد تــزوج الرســول ﷺ المــرأة الكبــيرة، والأرملة والمطلقة والضعيفة، ولم يكن بين تلك الزوجــات بكـــرًا إلا عائشة رضي الله عنها.

تزوج الرسول ﷺ أمهات المؤمـنين وجمع بينهن فكان مثالاً في العدل والقسمة، فعن عائشة رضي الله عنها قــــالت: «**كــــان رسول لله ﷺ إذا أراد سفرًا أقـرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خــرج بها معـه، وكـان يقسم لكل امـرأة منهن يومها وليلتها**»[1].

ومن صور العدل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه:

«**كان للنـبي ﷺ تسع نسـوة، فكـان**

---

[1] (?) رواه الترمذي.

إذا قسم بينهن لا ينتمي إلى المــرأة الأولى إلا في تسع فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيهـا، فكـان في بيت عائشة فجــاءت زينب فمد يـــده إليها فقـــالت عائشـــة: هـــذه زينب، فكف النبي يده»[1].

وهـــذا الـــبيت النبـــوي العظيم لم يكن كذلك لولا ما كان لرســول الله من توفيق ربه وإلهامه إياه.

وها هو يشــكر ربه قــولاً وفعلاً كـان يحث نساءه على العبادة ويعينهن على ذلك امتثــالاً لأمر الله عز وجــل:**وَأْمُـرْ أَهْلَـكَ بِالصَّـــلَاةِ وَاصْـطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـــأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَـةُ لِلتَّقْـوَى**[2].

عن عائشة رضي الله عنها قـــــــــالت: «**كـــان النـــبي يصـــلي وأنا راقـــدة معترضة على فراشه فــــإذا أراد أن**

[1] (?) رواه مسلم.
[2] (?) سورة طه 132.

يوتر أيقظني»[1].

وقد حث النـبي ﷺ على أمر قيـام الليل وإعانة الـزوج والزوجة لبعضهما حـتى تأخذ منحى جميلاً في نضح المـاء من الـزوج أو الزوجة لا فـرق. عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**رحم الله رجلاً قـام من الليل فصـلى وأيقظ امرأته فصـلت فـإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصـلت وأيقظت زوجها فصـلى فـإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[2].

ومن كمـال المسـلم والتزامه بدينـه، اعتنـاؤه بمظهـره الخـارجي إتمامًا لصـفاء داخله ونقائه.

كان عليه الصلاة والسلام طـاهر القلب نظيف البـدن طيب الرائحة يجب السـواك ويـأمر به قـال ﷺ: «**لو لا أن أشق على أمـتي لأمـرتهم بالسـواك عند كل**

[1] (?) متفق عليه.
[2] (?) متفق عليه.

صلاة»[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قـال: كـان رسول الله إذا قام من النـوم يشـوص[2]، فاه بالسواك[3].

وعن شريح بن هاني قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان يبدأ النـبي إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك[4].

فما أجملها من نظافة واســـــــتعداد لاستقبال أهل البيت!

وكـان يقـول عند دخـول المـنزل: «**بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنـا، وعلى ربنا توكلنـا، ثم يسـلم على أهله**»[5].

وليهنأ أهل بيتك بالـــــدخول بالنظافة والبدء بالسلام، ولا تكن أخي المسـلم ممن استبدل هذا بالعتاب واللوم والتقريع.

---

1 (?) رواه أحمد.
2 (?) رواه مسلم.
3 (?) الشوص: الدلك.
4 (?) رواه مسلم.
5 (?) رواه مسلم.

مزاح رسول الله

النبي القائد مهموم بأمر أمته، وبجيوشه، وقواده، وبأهل بيته، وبالوحي تارة وبالعبادة أخرى، وهناك هموم أخرى، إنها أعمال عظيمة تجعل أي رجل عاجزًا عن الوفاء بمتطلبات الحياة وبث الروح فيها، ولكنه عليه الصلاة والسلام أعطى كل ذي حق حقه فلم يقصر في حق على حساب آخر وفي جانب دون غيره، فهو مع كثرة أعبائه وأعماله جعل للصغار في قلبه مكانًا، فقد كان عليه الصلاة والسلام يداعب الصغار ويمازحهم ويتقرب إلى قلوبهم ويدخل السرور على نفوسهم كما يمازح الكبار أحيانًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا[1]، قال: «**نعم. غير أني لا أقول إلا حقًا**»[2].

ومن مزاحه ما رواه أنس بن مالك

---

1 (?) تداعبنا: يعني تمازحنا.

2 (?) رواه أحمد.

قال: «**إن النبي قال له: يا ذا الأذنين**»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان ابن لأم سليم يقال له أبو عمير كان النبي ربما مازحه إذا جاء فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينًا، فقال: «**مالي أرى أبا عمير حزينًا**» فقالوا: يا رسول الله مات نغره الذي كان يلعب به، فجعل يناديه: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير**؟»[2].

ومع الكبار كان للرسول مواقف يروي أحدها أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: إن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام، قال: وكان النبي يحبه وكان دميمًا، فأتاه النبي يومًا يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر: فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي حين عرفه، وجعل النبي يقول: «**من**

1 (?) رواه أبو داود.
2 (?) متفق عليه.

يشـتري العبد» فقـال: يا رسـول الله إذا والله تجـدني كاسـدًا، فقـال النـبي: «**لكن عند الله أنت غال**»[1].

إنه حسن خلق من كـــــريم ســــجاياه وشريف خصاله عليه الصلاة والسلام.

ومع تبسط الرســـول ﷺ مع أهله وقومه فإن لضـحكه حـدًا فلا تـراه إلا مبتسـمًا كما قـالت عائشة رضي الله عنهـا: «**ما رأيت رسـول الله مسـتجمعًا قط ضـاحكًا حـتى تـرى منه لهواته**[2]**، وإنما كـان يبتسم**»[3].

ومع هـــذه البشاشة وطيب المعشر إلا أنه ﷺ يتمعر وجهه إذا انتهكت محـــــارم الله قالت عائشة رضي الله عنهـا: قـدم رسـول الله ﷺ من ســفر، وقد ســترت ســهوة لي بقـرام فيه تماثيـل، فلما رآه رسـول الله ﷺ هتكه وتلـــون وجهه وقـــال: «**يا عائشـــة:**

---

1 (?) رواه أحمد.

2 (?) اللهوات: جمع لهات: وهي اللحم التي في أقصى سقف الفم.

3 (?) متفق عليه.

أشد النـــاس عـــذابًا عند الله يــــوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»[1].

فدل هذا على تحريم اتخاذ الصور في الــبيت إذا كــانت بــارزة، وأشد منه تحريمًا الصـــــور المعلقة في الجـــــدار أو التماثيل المنصـــــوبة في الأركـــــان وعلى الأرفف والمناضيد، فإن ذلك مع الإثم المترتب عليه يحرم أهل الـبيت من دخـول ملائكة الرحمة في ذلك البيت.

1 (?) متفق عليه، والسـهوة كالصـفة بين يـدي الـبيت، والقـرام، سـتر رقيق هتكـه: أي أفسد الصورة التي فيه.

نوم النبي

عن أبي رضي الله عنه أن رسول الله قــال: «**إذا أوى أحــدكم إلى فراشــه، فليأخذ داخلة إزاره** -أي طرفـــــــــــه- **فلينفض بها فراشه وليسم اللــــــه، فإنه لا يعلم ما خلفه بعــــــــده على فراشــــه، فــــإذا أراد أن يضــــطجع فليضــــــطجع على شـــــقه الأيمن، وليقــــل: ســــبحانك اللهم ربي بك وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسـكت نفس فــــاغفر لها وإن أرســــلتها فاحفظها بما تحفظ به عبـــــــــادك الصالحين**»[1].

وكـــــان من توجيهه لكل مســـــلم ومســلمة: « **إذا أتيت مضـجعك فتوضأ وضــوءك للصــلاة ثم اضــطجع على شقك الأيمن**»[2].

وعن عائشة قالت: «**كان رسول الله**

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) متفق عليه.

ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلـــة، جمع كفيه فنفث فيهمـا، وقـرأ فيهمـا: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ﴾ و ﴿قُـلْ أَعُـوذُ بِـرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِـرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم مسح بهما ما اســـتطاع من جســـده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يصنع ذلك ثلاث مرات»[1].

عن أنس بن مالـــك: أن رســـول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قـال: «**الحمد لله الــذي أطعمنا وســقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**»[2].

وعن أبي قتادة: «**إن النبي ﷺ كان إذا عــرس**[3] **بليل اضــطجع على شــقه الأيمن، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه**»[4].

ومع نعم الله عز وجل الـــتي أغـــدقها

---

1 (?) رواه البخاري.
2 (?) رواه مسلم.
3 (?) التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والراحة.
4 (?) رواه مسلم.

علينـا، تأمل أخي الحـبيب في فـراش سـيد المرســلين وخــاتم النبــيين وأفضل الخلق أجمعين خير من وطأت قدمه الثرى.

عن عائشة رضي الله عنها قـــــــالت: «**إنما كـــــان فــــــراش رســـــول الله ﷺ الذي ينام عليه من أدم حشــوه ليف**»[1].

ودخل عليه نفر من أصـــــــحابه ودخل عمــر، فــانحرف رسـول الله ﷺ فلم ير عمر بين جنبيه وبين الشــــريط ثوبًـــا، وقد أثر الشــريط بجنب رسـول الله ﷺ فبكى عمــر، فقــال له النــبي ﷺ: «**ما يبكيك يا عمر**»؟ قال: والله إلا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله عز وجل من كســـرى وقيصــــر، وهما يعبثــان في الــدنيا فيما يعبثــان فيــه، وأنت رسول الله بالمكان الذي أرى! فقال النــبي ﷺ: «**أما ترضى أن تكــون لهم الـــدنيا ولنا الآخـــرة**»؟ قــال عمـــر: بلى، قــال: «**فإنه كذلك**»[2].

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) رواه الإمام أحمد.

قيام الليل

قد أقبل ليل المدينة وخيم بسـواده عليها، لكن الرسول ﷺ أضاء جوانحه بالصلاة وذكر الله وقـام ليله يتهجد ويناجي رب الأرض والسموات ويدعو من بيده مقاليد الأمور استجابة لأمر خالقه وبارئه **﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾**[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقوم يصلي حتى تنتفخ قدماه، فيقال له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**؟»[2].

وعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت: «**كان ينام أول**

---

1 (?) سورة المزمل الآيات 1-4.
2 (?) رواه ابن ماجه.

الليل ثم يقوم فإذا كان له حاجة ألم بأهلـه، فـإذا سـمع الأذان وثب، فـإن كـان جنبًا أفـاض عليه من المـاء وإلا توضأ وخرج إلى الصلاة»[1].

وصـــــلاة الرســـــول بالليل فيها من العجب ما يجعلنا نتأمل في طولها ونتخــذها قدوة وأسوة.

عن أبي عبد الله حذيفة بن اليمـــــان رضي الله عنهما قال: «**صليت مع النـبي ليلة فـافتتح البقــرة، فقلت: يركع عند المائــة، ثم مضى فقلت: يصـلي بها في ركعـة، فمضـى، ثم افتتح آل عمران فقرأها، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النســـاء فقرأهـــا، يقـــرأ مترســـلاً[2]، إذا مر بآية فيها تســبيح سبح، وإذا مر بسـؤال سـأل، وإذا مر بتعــوذ تعــوذ، ثم ركع فجعل يقــول: ســبحان ربي العظيم، فكـان ركوعه**

1 (?) رواه البخاري.

2 (?) مترسلاً: أي بتبين الحروف وأداء حقها.

نحوًا من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريبًا من قيامه»[1].

***

1 (?) رواه مسلم.

بعد الفجر

بعد هــدوء ليل المدينة ومع إشــراقات الفجر حيث تم أداء صـــــــــــلاة الفجر مع الجماعة في المســجد كــان عليه الصــلاة والسلام يجلس بعد صـلاة الفجر لـذكر الله حـتى تطلع الشـمس ثم يصـلي ركعـتين، عن جـابر بن سـمرة رضي الله عنـه: «**أن النـبي كـان إذا صـلى الفجر جلس في مصـــلاه حـــتى تطلع الشـــمس حسنًا**»[1].

وقد حث عليه الصــلاة والســلام على الإتيـان بهـذه السـنة العظيمة وذكر بما فيها من الأجر والمثوبة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والســلام: «**من صلى الفجر في جماعة،ثم قعد يـذكر الله حـتى تطلع الشمس ثم صـلى ركعـتين، كـانت له كـأجر حجة وعمــرة، تامــة، تامــة، تامة**»[2].

1 (?) رواه مسلم، ومعنى حسنًا مرتفعة.

2 (?) رواه الترمذي.

صلاة الضحى

قد انتصف النهار واشتدت حرارة الشمس، وأقبلت السموم الحارقة تلفح الوجوه، إنها فترة الضحى، وقت عمل وقضاء حوائج، ومع كثرة أعباء الرسالة ومقابلة الوفود، وتعليم الصحابة، وحقوق الأهل، فقد كان يتعبد الله عز وجل.

قالت معاذة: قلت لعائشة رضي الله عنها: أكان النبي يصلي الضحى؟ قالت: «**نعم أربع ركعات ويزيد ما شاء الله عز وجل**»[(1)].

وقد أوصى بها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد**»[(2)].

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) متفق عليه.

صلاة النوافل في البيت

هـذا الـبيت العـامر بالإيمـان، المليء بالعبـادة والـذكر، يوصي النـبي أن يكـون لبيوتنا مثل ذلـك، فيقـول : «**اجعلـوا في بيـــوتكم من صـــلاتكم ولا تتخـــذوها قبورًا**»[1].

قـــال ابن القيم رحمه اللـــه: وكـــان يصلي عامة السنن والتطوع الـذي لا سـبب له في بيتـه، لاسـيما سـنة المغـرب فإنه لم ينقل عنه أنه فعلها في المســـجد ألبتـــة، ولصلاة النوافل في البيت فوائد منها: اتبـاع سنة النبي ، وتعليم النساء والأطفال كيفية الصلاة، وطرد الشياطين منه بسـبب الـذكر والقراءة وأدعى للإخلاص والبعد عن الرياء.

[1] (?) رواه البخاري.

بكاء النبي

كثير من الرجال والنساء يبكــون لكن يا ترى كيف يكــون البكـاء ولمن يكـون؟! نبينا عليه الصلاة والسلام كان يبكي مع أن الدنيا في يـــده لو أرادهـــا، والجنة أمامه وهو في أعلى منازلهـا، نعم كـان يبكي عليه الصـلاة والسلام ولكنه بكـاء العبـاد، كـان يبكي وهو يناجي ربه في الصـلاة وعند سـماع القـرآن وما ذاك إلا من رقة القلب وصـــــــــــــلاح الســــــريرة، ومعرفة عظمة الله عز وجـل وخشيـة منـه سبحانه.

عن مطـــــــــرف -وهو ابن عبد الله بن الشـــخير- عن أبيه قـــال: «**أتيت رســـول الله وهو يصلي ولجوفه أزيز كـأزيز المرجل من البكاء**»[1].

وعن عبد الله بن مســــــعود رضي الله عنه قـال: «قـال لي رســول الله : «**اقرأ علي**» فقلت: يا رســـول الله أقـــرأ عليك

---

[1] (?) رواه أبو داود.

وعليك أنـــــزل؟ قـــــال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت سورة النساء حـــتى بلغت **﴿وَجِئْنَا بِـــكَ عَلَى هَــؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾** قـال: «**فـرأيت عيـني رسـول الله تهملان**»[1].

بل تأمل في شـعرات بيض تعلو مفـرق رســـول الله وما يقـــارب من ثمانية عشر شـــــيبة في لحيته الشـــــريفة، وارع قلبك لتســـمع من لســـانه الشـــريف ســـبب تلك الشـعيرات الـبيض: قـال أبو بكر رضي الله عنـــه: يا رســـول الله قد شـــبت! قـــال ﷺ: «شـيبتني هـود والواقعة والمرسـلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»[2].

---

1 (?) رواه البخاري.

2 (?) رواه الترمذي.

تواضعه ﷺ

كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقًا وأكملهم قدرًا فخلقه القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنهـــا: «**كـــان خلقه القــــرآن**»[1] ولقد قـــال عليه الصــــلاة والســـلام: «**إنما بعثت لأتمم مكـــارم الأخلاق**»[2].

ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام عدم محبته للمدح والثناء والإطراء.

عن عمر بن الخطـــــاب رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «**لا تطـروني كما أطـــرت النصـــارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولـوا: عبد الله ورسوله**»[3].

وعن أنس رضي الله عنـــه: أن ناسًـــا قـالوا: يا رسـول الله يا خيرنا وابن خيرنـا، وسيدنا وابن سيدنا، فقـال: «يا أيها النـاس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشـيطان، أنا

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) رواه أحمد.
3 (?) رواه أبو داود.

محمد عبد الله ورسـولـه، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلـني الله عز وجل»[1].

وبعض النـاس يطـري النـبي غاية الإطـراء فيعتقد أنه يعلم الغيب أو أن بيـده الضر والنفع ويجيب الحـوائج ويشـفي المرضـى، والله عز وجل نفى ذلك كله فقال تعالى: **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَـرًّا إِلَّا مَا شَـاءَ اللَّهُ وَلَـوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**.

وهـذا النـبي المرسل خـير من أقلته الغـبراء وأظلته الخضـراء، دائم الإخبـات والإنابة إلى ربه، لا يحب الكبر، بل هو رأس المتواضعين وسيد المنكسرين لربه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قـال: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله قـال: وكـانوا إذا رأوه لم يقومـوا لما يعلمون من كراهته لذلك»[2].

---

1 (?) رواه النسائي.

2 (?) رواه أحمد.

وألق بطرفك لنــبي الأمة عليه الصــلاة والســــــلام في تواضع عجيب وحسن خلق نادر يتواضع فيه للمــرأة المســكينة ويمنحها من وقته المليء بالأعمال.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قـال: إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقـالت لـه: إن لي إليك حاجــة، فقـال: «**اجلسي في أي طريق المدينة شئت أجلس إليك**»[1].

يروح بأرواح المحامد

فيرقى بها في ساميات

وإن فض في الأكوان

تعطر منها كل نجد وغائر

وكـان عليه الســلام رأس أهل التواضع وعلمهم، فعن أبي هريــــرة رضي الله عنه عن النــبي ﷺ قــال: «**لو دعيت إلى ذراع أو كـراع لأجبت، ولو أهـدي إلي ذراع أو كراع لقبلت**»[2].

وللمتكـــبرين في كل عصر وحين يبقى حديث الرسول ﷺ حاجزًا لهم ورادعًا لكبرهم

---

1 (?) رواه أبو داود.

2 (?) رواه البخاري.

واستعلائهم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[1].

والكبر طريق إلى النار والعياذ بالله، حتى وإن كان مثقال ذرة، وتأمل في عقوبة متكبر يختال في مشيته، كيف سخط الله عز وجل عليه وأنزل به غضبه وأليم عقابه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه**[2] **يختال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل**[3] **في الأرض إلى يوم القيامة**»[4].

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) مرجل رأسه: أي ممشطه.
3 (?) يتجلجل: أي يغوص وينزل.
4 (?) متفق عليه.

**خادمه **

هـذا الخـادم المسـكين الضـعيف أنزله الرسول منزلة تليق بـه، قياسًـا على دينه وتقــواه لا على عمله وضــعفه قـــال عليه السلام والصلاة عن الخـدم والأجـراء: «**هم إخــوانكم، جعلهم الله تحت أيــديكم، فأطعموهم مما تـأكلون، وألبسـوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[1].

ثم تأمل في خـــادم يـــروي عن ســـيده كلامًا عجيبًا وشــهادة مقبولة وثنــاء عطــرًا وهل رأيت خادمًا يثــني على ســيده مثل ما قال خادم رسول الله .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قـال: خــــــــــــــــدمت رســــــــــــــول الله .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قـال: «**خــــــــــــــــدمت رســــــــــــــول الله عشر ســنين فما قــال لي أف**

---

1 (?) رواه مسلم.

قطء وما قال لي لشيء صنعته [لم صنعته؟] ولا لشيء تركته لم تركته؟»[1].

عشر سنوات كاملة ليست أيامًا أو شهورًا إنه عمر طويل فيه الفرح والترح، والحزن والغضب وتقلبات النفس واضطرابها وفقرها وغناها، ومع هذا فلم ينهره ولم يأمره -بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام- بل ويكافئه ويطيب خاطر خادمه ويلبي حاجته وحاجة أهله ويدعو لهم.

قال أنس رضي الله عنه: قالت أمي: يا رسول الله خادمك ادع الله له، قال: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**»[2].

ومع شجاعته عليه الصلاة والسلام فإنه لم يهن ولم يضرب إلا في حق، ولم يقس على الضعفاء الذين تحت يده من زوجة

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) رواه البخاري.

وخادم.

عن عائشة رضي الله عنها قـــالت: ما ضــرب رســول الله بيــده شــيئًا قط إلا أن يجاهد في ســبيل الله ولا ضـــرب خادمًا ولا امرأة»[1].

بل ها هي أم المؤمــنين رضي الله عنها تكرر الشـهادة لخـير الخلق وصـفوة النـاس أجمعين وقد سـارت الركبـان بالحـديث عن حسن سـيرته ونبل معشـره حـتى شـهد له كفار قريش.

تقـــول رضي الله عنهـــا: «**ما رأيت رســـول الله منتصـــرًا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محـــارم الله تعــالى شـــيء، فــإذا انتهك من محــارم الله تعـالى شـيء، كـان من أشدهم في ذلك غضبًا، وما خــير بين أمرين إلا اختـار أيسـرهما ما لم يكن مأثمًا**»[2].

وكان ينادي بـالرفق والأنـاة قـال عليه

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) رواه البخاري.

الصــلاة والســلام: « **إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[1].

1 (?) متفق عليه.

الهدية والضيف

في حياة البشر حاجات عاطفية ودخائل نفسية تظهر الحاجة إليها دومًا في المجتمع والأسرة والبيت، ومن الأمور التي تقرب القلوب وتذيب إحن النفوس الهدية، عن عائشة رضي الله عنها: «**أن النبي كان يقبل الهدية ويثيب عليها**»[1] وهذا الإهداء والشكر من كرم النفوس وصفاء الصدور.

وخلق الكرم من أخلاق الأنبياء وسنن المرسلين، ولرسولنا قصب السبق والقدح المعلى في ذلك أليس هو القائل: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يحرجه**؟»[2].

ووالله لم تشهد الغبراء ولا وهادها ولم

---

1 (?) رواه البخاري.
2 (?) رواه البخاري.

ير الحجــاز ولا الجزيــرة، بل ولا الخــافقين أنبل أخلاقًا وأكرم صفاتٍ منه كحل عينيك -أيها القــارئ- لــترى موقفــاً من مواقفه العظيمة بــــأبي هو وأمي عليه الصـــــلاة والسلام!!

عن سهل بن سـعد رضي الله عنـه: أن امـــرأة جـــاءت إلى رســـول الله بـــبردة منسوجة فقالت: نسـجتها بيـدي لأكسـوكها، فأخـذها النـبي محتاجًا إليهـا، فخـرج إلينا وإنها لإزاره فقال فلان: اكسنيها ما أحسـنها فقـــــال: «**نعم**» فجلس النـــــبي في المجلس، ثم رجع فطواهــــا، ثم أرسل بها إليه فقــال له القــوم: ما أحســنت، لبســها النبي محتاجًا إليها، ثم سـألته، وعلمت أنه لا يــرد ســائلاً، فقــال: إني والله ما ســألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني قال سهل: فكانت كفنه»[1].

ولا تعجب من خلق من اصـــطفاه الله عز وجل وربــاه على عينه وجعله القــدوة،

---

1 (?) رواه البخاري.

رســــول الله ﷺ يضـــــرب أروع الأمثلة في السخاء والجـود، عن حكيم بن حـزام رضي الله عنه قــــال: ســــألت رســــول الله ﷺ فأعطـاني ثم سـألته فأعطـاني، ثم سـألته فأعطـاني، ثم قـال: «**يا حكيم، إن هـذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بـــورك له فيـــه، ومن أخــــذه بإشـــراف نفس لم يبـــارك له فيـــه، وكـان كالـذي يأكل ولا يشـــبع واليد العليا خير من اليد السفلى**»[1].

وصدق الشاعر:

وله كمال الدين أعلى
يعلو ويسمو أن يقاس
لما أضاء على البرية زانها
وعلا بها فإذا هو
فوجدت كل الصيد في
ولقيت كل الناس في

عن جـابر رضي الله عنه قـال:ما سـئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال، لا[2].

---

1 (?) متفق عليه.
2 (?) رواه البخاري 6034.

ومع هذا العطاء والسخاء في اليد إلا أن سـخاءه منقطع النظـير في الجـود والبـذل وطيب النفس وحسن المعاشــرة وصــدق المحبة.

كــان من عادته أن يبش (يبتســم) إلى كل من يجلس إليـــه، حـــتى يظن أنه أحب أصحابه إلى قلبه.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «ما حجبني رسول الله ولا رآني منذ أسلمت إلا تبسم»[1].

ولك في وصف شاهد كفاية وعبر.

وعن عبد الله بن الحــــــارث قـــــال: «**مارأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله **»[2].

ولمـاذا تعجب أيها الحـبيب وهو القائـل عليه الصــلاة والســلام: «**وتبســمك في وجه أخيك صدقة**»[3].

أما خـادم رسـول الله أنس رضي الله

---

1 (?) رواه البخاري.
2 (?) رواه الترمذي.
3 (?) رواه الترمذي.

عنه فقد وصف رســـــول الله ﷺ بصـــــفات عظيمة قل أن تجد بعضـــها في رجل أو أن تجتمع في أنــاس، كــان رســول الله ﷺ أشد الناس لطفًا فما سأله سائل قط إلا أصـغى إليه فلا ينصـرف رسـول الله ﷺ حـتى يكـون السائل هو الذي ينصرف وما تناول أحد يده قط إلا ناوله إياها فلا ينزع ﷺ يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها منها»[1].

مع إكرامه ﷺ لضـــيفه والتطلف معه إلا أنه كان رءوفًا بأمتـه، ولـذا فهو ينكر المنكر ولا يقبله عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحـــــه، وقـــــال: «**يعمد أحـدكم إلى جمـرة من نــار فيجعلها في يده**»[2].

---

1 (?) رواه أبو نعيم في الدلائل.

2 (?) رواه مسلم.

الرحمة بالأطفال

أهل القلوب القاسية لا يعرف الرحمة وليس للعاطفة في صدورهم مكان إنهم كالحجارة الصماء، جفاف في العطاء والأخذ، وبخل بأرق المشاعر والعوطف الإنسانية أما من منحه الله عز وجل قلبًا رقيقًا وحنانًا دافقًا فهو صاحب القلب المثالي الحنون، تكسوه الرحمة وتحركه العاطفة.

عن أنس رضي الله عنه: «**أن النبي أخذ ولده إبراهيم فقبله وشمه**»[1].

وهذه الرحمة ليست خاصة لأقاربه فحسب بل عامة لأبناء المسلمين، قالت أسماء بنت عميس زوجة جعفر رضي الله عنها: دخل علي رسول الله فدعا بني جعفر فرأيته شممهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: «**نعم، قتل اليوم**» فقمنا نبكي ورجع فقال: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا**

---

1 (?) رواه البخاري.

فإنه قد جاء ما يشغلهم»[1].

ولما كانت عيناه ﷺ تفيض لموتهم سأله سعد بن عبادة رضي الله عنه: يا رسول الله ما هذا؟ فيقول ﷺ: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[2].

وعندما ذرفت عيناه ﷺ لوفاة ابنه إبراهيم قال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «وأنت يا رسول الله »؟ فقال: «**يا ابن عوف، إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى**» وقال: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون»[3].

وخلق الرسول العظيم مدعاة إلى الأخذ به والسير على خطاه فنحن في زمن فقدنا فيه الإحساس بمحبة الصغار وإنزالهم منزلتهم فهم الآباء غدا وهم رجال الأمة وفجرها المنتظر بلغ بنا الجهل والكبر وقلة

---

1 (?) أخرجه ابن سعد، والترمذي وابن ماجه.
2 (?) رواه البخاري.
3 (?) رواه البخاري.

الرأي وقصر النظر إلى أن تركنا مفتاح القلوب مغلقًا ومضيعًا مع الأطفال والناشئة، أما الرسول فإن المفتاح بيده وعلى لسانه، هاهو يجعل الصبي يحبه ويجعله ويقدره وهو ينزل الناشئ منزلة رفيعة.

كان أنس رضي الله عنه إذا مر على صبيان سلم عليهم وقال: «كان النبي يفعله»[1].

وكما أن للأطفال مشقتهم وتعبهم وكثرة حركتهم إلا أن رسول الله لا يغضب ولا ينهر الصغير ولا يعاتبه، كان يأخذ بمجامع الرفق وبخطام وزمام السكينة.

عن عائشة رضي الله عنها: قالت: «كان النبي يؤتى بالصبيان فيدعو لهم فأتي بصبي فبال على ثوبه فدعا بماء فأتبعه إياه ولم يغسله»[2].

أما خطر في بالك أيها القارئ وأنت

---

1 (?) متفق عليه.
2 (?) رواه البخاري.

تتشـــرف بـــالجلوس في بيت النبـــوة أن تــداعب صـغارك وتمـازح أبنـاءك وتسـمع ضحكاتهم وجميل عباراتهم؟ كان نـبي الأمة يفعل ذلك كله بأبي هو وأمي .

عن أبي هريـــرة رضي الله عنه قـــال: «**كــان رســول الله ليــدلع لســانه للحسن بن علي، فيرى الصبي حمرة لسانه، فيهش له**»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قـال: «**كـان رســـــول الله يلاعب زينب بنت أم ســـلمة، وهو يقـــول: يا زوينب، يا زوينب، مرارًا**»[2].

ورحمته تطـال الصـغار حـتى وهو في عبادة عظيمة «فقد كـان يصـلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رســـــول الله لأبي العـاص بن الربيـع، فـإذا قـام حملهـا، وإذا سجد وضعها»[3].

---

1 (?) السلسة الصحيحة رقم 70.

2 (?) الأحاديث الصحيحة 2141، صحيح الجامع 5025.

3 (?) رواه البخاري ومسلم.

وعن محمـــود بن الربيع رضي الله عنه قــال: «**عقلت من رســول الله ﷺ مجة مجها في وجهي من دلـــو، من بـــئر كـــانت في دارنـــا، وأنا ابن خمس سنين**»[1].

وهو عليه الصلاة والسـلام يعلم الكبـير والصــغير عن ابن عبــاس رضي الله عنهما قــال: كنت خلف النـبي ﷺ يومًا فقـال: « **يا غلام، إني أعلمك كلمـات:احفظ الله يحفظـك، احفظ الله تجـده تجاهـك، إذا سـألت فاسـأل الله وإذا اسـتعنت فاستعن بالله**»[2].

بعد أن عشنا مع بعض شـمائله الكريمة وسـيرته العطـرة لعلنا نحـيي بها القلـوب ونقتفي خلفها الأثر في مســـيرة الحيـــاة، فبيوتنا تزهر بالصـــغار، والأطفـــال الـــذين يحتاجون إلى حنـان الأبـوة وعاطفة الأمومة وإدخــال الســرور على قلــوبهم الصــغيرة، فينشأ ســوي العاطفة ســوي الخلق يقــود

1 (?) رواه البخاري ومسلم.
2 (?) رواه الترمذي.

الأمة رجلاً صــنعه الرجــال والأمهــات بعد توفيق الله عز وجل.

الحلم والرفق والصبر

البطش وأخذ الحقوق قهرًا وجبرًا من سمات الظلمة وأهل الجور ونبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أرسى قواعد العدل والنصرة لكل صاحب حق حتى ينال حقه ويأخذه، وقد سير ما منحه الله عز وجل من أمر ونهي للخير وفي سبيل الخير، فنحن لا نخشى في بيته مظلمة ولا بطشًا، ولا تعديًا ولا نهبًا.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة

1 (?) رواه أحمد.

عاتق النـبي وقد أثـرت بها حاشـية الـرداء من شدة جبذته، ثم قال: «يا محمد، مر لي من مـال الله الـذي عنـدك. فـالتفت إليـه، فضحك ثم أمر له بعطاء»[1].

ولما قفل رسول من غزوة حنين تبعه الأعــراب يســألونه فــالجئوه إلى شــجرة فخطفت رداءه، وهو على راحلتــه، فقــال: «ردوا علي ردائي، أتخشــون علي البخــل؟ فقـــال: فوالله لو كـــان لي عـــدد هـــذه العضـــــاة[2] نعمًا لقســــــمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جبانًا ولا كذابًا»[3].

ومن أنصع صور التربية وجميل التعليم، الرفق في جميع الأمــور ومعرفة المصــالح ودرء المفاسد.

أخذت الغـيرة الصـحابة وهم يـرون من يخطئ وتــزل قدمه وســارعوا إلى الإنكــار وحق لهم ذلـــــــك، ولكن الحليم الرفيق

---

1 (?) متفق عليه.

2 (?) العض: الشجر الغليظ يبقى في الأرض.

3 (?) رواه البغـوي في شـرح السـنة وصـححه الألباني.

منعهم من ذلك لجهل الفاعل وللضـــــــــرر المـــــــــترتب فكـــــــــان الأولى ما فعله الرسول ﷺ.

عن أبي هريـــرة رضي الله عنه قـــال: بال أعرابي في المسـجد فقـام النـاس إليه ليقعـــوا فيـــه، فقـــال النـــبي ﷺ: «**دعـــوه وأريقوا على بوله سجلاً من مـاء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميســرين، ولم تبعثوا معسرين**»[1].

وصبر الرسول على أمر الدعوة مـدعاة إلى التأسي به والسـير على نهجـه، وعـدم الانتصار للنفس، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنـبي ﷺ: هل أتى عليك يـوم كـان أشد من أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومـك، وكـان أشد ما لقيت منهم يـوم العقبـة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبـني إلى ما أردت، فـانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقـرن الثعـالب، فـرفعت رأسـي، فـإذا أنا بسـحابة قد أظلتـني فنظـرت فـإذا فيها

1 (?) رواه البخاري.

جبريل عليه السلام فنـاداني فقـال: إن الله تعـالى قد سـمع قـول قومك لـك، وما ردوا عليك وقد بعثت إليك ملك الجبـال لتـأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبـال فسـلم علي ثم قـال: يا محمد إن الله قد سـمع قـول قومك لـك، وأنا ملك الجبـال، وقد بعثـني ربك إليك لتـأمرني بـأمرك، فما شـئت؟ إن شـئت أطبقت عليهم الأخشبين»[1]. فقال النـبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصـلابهم من يعبد الله وحـده لا يشرك به شيئًا»[2].

وبعض النفـوس اليـوم تتعجل أمر الـدعوة وتأمل في حصد النتـائج سـريعًا، والانتصـار للنفس قـدحًا في الـدعوة وإخلاصـها ولهـذا فشـلت بعض الـدعوات لفشو هـذا الأمر بين أفرادها فأين الصـبر والتحمل؟!

وبعد سـنوات طويلة وقع ما أمله الرسول ﷺ بعد معاناة وصبر وطول جهاد.

---

1 (?) الأخشـبان: الجبلان المحيطـان بمكة والأخشب: الجبل الغليظ.

2 (?) متفق عليه.

وكيف يسامى خير من
وفي كل باع عن علاه
وكل شريف عنده
وكل عظيم القريتين

عن ابن مســـعود رضي الله عنه قـــال: كأني أنظر إلى رسـول الله يحكي نبيًا من الأنبيـاء صـلوات الله وسـلامه عليـه، ضـربه قومه فـــأدموه وهو يمسح الـــدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

وذات يــوم جـاء إلى رسـول الله وهو في جنازة مع أصحابه يهودي اســمه زيد بن سعنة، يتقاضـاه دينًـا، فأخذ بمجـامع قميصه وردائـــه، ونظر إليه بوجه غليـــظ، وقـــال: يا محمد ألا تقضـني حقي؟ وأغلظ في القـوم، فغضب عمر بن الخطـــــاب رضي الله عنه ونظر إلى زيد وعينـــاه تـــدوران في وجهه كالفلك المســتدير ثم قــال: يا عــدو اللـــه، أتقـول لرسـول الله ما أســمع، وتفعل ما أرى؟! فوالـذي بعثه بـالحق لو لا ما أحـاذر

[1] (?) متفق عليه.

من لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال: «**يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمر**».

يقول زيد اليهودي لما زاده عمر عشرين صاعًا من تمر قال: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال عمر: أمرني رسول الله أن أزيدك مكان نقمتك قال زيد: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا من أنت؟ قال: زيد بن سعنة.

قال: الحبر؟" قلت: الحبر، قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله ما فعلت، وقلت له ما قلت؟ قال زيد: يا عمر لم يكن له من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه: هل يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا فقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد

رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا وأشهدك أن شطر مالي صدقة على أمة محمد ﷺ فقال عمر رضي الله عنه أو على بعضهم فإنك لا تسعهم، قال زيد: أو على بعضهم فرجع زيد اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وآمن به وصدقه[1].

ونحن نتأمل الموقف ونهايته والحوار الطويل فيه لعل لنا نصيبًا من التأسي بقدوتنا محمد عليه الصلاة والسلام، والصبر على الناس ودعوتهم برفق وحلم.

وتشجيعهم إذا أحسنوا وبث روح التفاؤل في نفوسهم عن عائشة رضي لله عنها قالت: «اعتمرت مع النبي ﷺ من المدينة حتى إذا قدمت مكة، قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قصرت وأتممت، وأفطرت وصمت، قال: «**أحسنت يا عائشة**» وما عاب علي»[2]

---

1 (?) أخرجه النسائي في مستدركه وصححه.
2 (?) رواه النسائي.

**طعامه **

المـوائد والجفان تروح وتغـدو في بيـوت علية القوم وأهل الأمر والنهي فيهـا.. ونـبي هذه الأمة تحت يده، البلاد والعباد وتـرد إليه الإبل محملة بـــــــالأرزاق ويفيض بين يديه الـــــــذهب والفضـــــــة، يا تُرى كيف مطعمه ومشـربه، أعيشة الملـوك أم أرفع وأعظم؟ أطعام الأغنيـاء والموسـرين أم أكمل وأتم؟ لا تعجب وأنت تتأمل طعام الرسول وقلته وتقشـــفه يحـــدثنا أنس رضي الله عنه حيث قـــال: « **إن النـــبي لم يجتمع عنـــده غـــداء ولا عشـــاء من خـــبز ولحم إلا على ضفف**»[1].

والضـفف: قلة المـأكول وكـثرة الأكلـة، والمعنى أنه لم يشبع إلا بضيق وشدة، أو ما شـــبع في زمن من الأزمـــان إلا إذا نـــزل به الضـيوف، فيشـبع حينئذ لضـرورة الإينـاس والمجابرة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما**

1 (?) رواه الترمذي.

شبع آل محمد من خبز شعير يــومين متتــابعين حـــتى قبض رســول الله ﷺ»[1].

وفي رواية: **«ما شــبع آل محمد منذ قام المدينة من طعـام بر ثلاث ليـال تباعًا حتى قبض»**[2].

بل كان عليه الصـلاة والسـلام لا يجد ما يأكل وينام طاويًا لا يدخل جوفه اللقمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: « كان رســول الله ﷺ يـــبيت الليـــالي المتتابعة طاويًا هو وأهله،لا يجدون عشـاء، وكـان أكـثر خـبزهم خبز الشعير»[3].

وليس الأمر من قلة ونــدرة، بل كــانت تفيض الأمـــوال من تحت يـــده وتفد إليه النجائب محملة، ولكنه الله عز وجل اختـار لنبيه ﷺ الحال الأكمل والأقوم.

قـال عقبة بن الحـارث رضي الله عنـه:

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) متفق عليه.
3 (?) رواه الترمذي.

صـــلى بنا النـــبي ﷺ العصر فأســـرع ثم دخل الـــبيت فلم يلبث أن خـــرج فقلت أو قيل له فقـــال: «**كنت خلفت في البيت تـــبرًا - أي ذهبًـــا- من الصـــدقة فكـــرهت أن أبيته فقسمته**»[1].

والســـخاء العجيب والعطـــاء المنقطع النظير هو ما يخرج من يد نـبي هـذه الأمـة، عن أنس رضي الله عنه قـــال: ما ســـئل رسول الله ﷺ على الإسلام شـيئًا إلا أعطـاه، ولقد جاءه رجـل، فأعطـاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقـال: «يا قـوم أسـلموا، فـــإن محمـــدًا يعطي عطـــاء من لا يخشى الفقر»[2].

ومع هـذا العطـاء والسـخاء، تأمل حـال نـــبي هـــذه الأمة عن أنس رضي الله عنه قـــال: « **لم يأكل النـــبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزًا مرققًا حتى**

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) رواه مسلم.

مات»[1].

وذكرت عائشة رضي الله عنها أنه كـان يأتيها فيقول: «أعنـدك غـداء»؟ فتقـول: لا، فيقول: «**إني صائم**»[2].

وثبت عنه أنه كـــان يقيم الشــــهر والشـــــــهرين، لا يعيشه هو وآل بيته إلا الأسودان: التمر والماء[3].

ومع هذه القلة في الطعام والنـدرة في المأكولات فإن خلقه الرفيع وأدبه الإسلامي يــدعوه إلى شــكر نعمة الله ثم شــكر من أعـدها وعـدم تعنيفه إن أخطـأ، فقد اجتهد ولم يصب، ولهذا كان عليه الصلاة والسـلام لا يعيب طعامًا ولا يلـــوم طابخًا ولا يــــرد موجودًا ولا يطلب مفقودًا، إنه نبي الأمة لم يكن همه بطنه ومأكله.

عن أبي هريــرة رضي الله عنه قـــال: «**ما عـاب رسـول الله طعامًا قـط،**

---

1 (?) رواه البخاري.

2 (?) رواه مسلم

3 (?) رواه البخاري، ومسلم.

إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»[1].

وللأحبة الكـــرام من تأخـــذهم المآكل والمشارب أسـوق قـول شـيخ الإسـلام ابن تيمية مختصرًا:

وأما الأكل واللباس: فخير الهـدي هـدى محمد ﷺ وكن خلقه في الأكل أن يأكل ما تيسر إذا اشـــتهاه، ولا يـــرد موجـــودًا، ولا يتكلف مفقـودًا، فكـان إذا حضر خـبز ولحم أكلــه، وإن حضر فاكهة وخــبز ولحم أكلــه، وإن حضر تمر وحـده أو خـبز وحـده أكلـه، ولم يكن إذا حضر لونان من الطعام يقـول: لا آكل لــونين، ولا يمتنع من طعــام لما فيه من اللـــــذة والحلاوة، وفي الحـــــديث ﷺ: **«لكني أصوم وأفطر، وأقـوم وأنـام، وأتـــزوج النســـاء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»**.

وأمر الله عز وجل بأكل الطيبــــــات والشكر لله فمن حرم الطيبات كان معتديًا، ومن لم يشــكر كــان مفرطًا مضــيعًا لحق

---

[1] (?) متفق عليه.

اللـــه، وطريق رســـول الله هي أعـــدل الطـــــرق وأقومها والانحـــــراف عنها إلى وجهين: قوم يسرفون فيتنـاولون الشـهوات مع إعراضهم عن القيـام بالواجبـات، وقـوم يحرمــون الطيبــات ويبتــدعون رهبانية لم يشرعها الله تعالى، ولا رهبانية في الإسلام.

ثم قــال رحمه اللــه: وكل حلال طيب، وكل طيب حلال فـإن الله عز وجل أحل لنا الطيبــات وحــرم علينا الخبــائث، لكن جهة طيبه كونه نافعًا لذيذًا، والله حــرم علينا كل ما يضرنا، وأباح لنا كل ما ينفعنا.

ثم قــال رحمه اللــه: والنــاس تتنــوع أحــوالهم في الطعــام واللبــاس والجــوع والشبع، والشخص الواحد يتنوع حاله، ولكن خير الأعمـال ما كـان لله أطـوع، ولصـاحبه أنفع[1].

1 (?) مجموع الفتاوى 22/310 باختصار.

الذب عن أعراض الآخرين

أكرم المجالس مجـالس العلم والـذكر، فما بالك إذا توسط صـــفوة ولد آدم ومعلم الأمة بحديثه وتعليمه وتوجيهه؟ كـــــان من صـفاء مجلسه ونقـاء سـريرته عليه الصـلاة والســلام أن يـــرد المخطئ ويعلم الجاهل وينبـــــه الغافل ولا يقبل في مجلسه إلا كل خير، وإن كان مسـتمعًا منصـتًا لمحدثه إلا أنه لا يقبل غيبة ولا يرضى بنميمة ولا بهتـان ولذا فهو يرد عن أعراض الآخرين.

عن عتبـــــــان بن مالك رضي الله عنه قال: قام النبي يصلي فقال: «**أين مالك بن الدخشم**»؟ فقال رجل: ذلك منـافق لا يحب الله ولا رســوله، فقــال النــبي : «**لا تفعل ذلك، ألا تراه قد قــال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله، وإن الله قد حــرم على النــار من قــال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[1].

وكان يحذر من شهادة الزور واقتطـاع

---

1 (?) متفق عليه.

الحقـوق، عن أبي بكر رضي الله عنه قـال: قـــال رســـول الله ﷺ: «ألا أنـــبئكم بـــأكبر الكبـائر»؟ قلنـا: بلى يا رسـول اللـه، قـال: «**الإشراك باللـه، وعقـوق الوالـدين**» وكـــان متكئًا فجلس فقـــال: «**ألا وقـــول الـــزور**» فما زال يكررها حـــتى قلنـــا: ليته سكت»[1].

ومع محبته لأم المؤمـــنين عائشة رضي الله عنها إلا أنه أنكر عليها الغيبـــــة، وأوضح لها عظم خطرها.

عن عائشة رضي الله عنها قـالت: قلت للنبي ﷺ حسـبك من صـفية كـذا وكـذا، قـال بعض الرواة: تعني قصــرها، فقـالت: «**لقد قلت كلمة لو مـــــزجت بمـــاء البحر لمزجته**»[2].

وقد بشر النبي ﷺ من يـذب عن أعـراض إخوانه فقـــال ﷺ: «**من ذب عن عــــرض أخيه بالغيبة كـــان حقًا على الله أن**

---

1 (?) متفق عليه.

2 (?) رواه أبو داود.

يعتقه من النار»[3].

3 (?) رواه أحمد.

كثرة ذكر الله تعالى

للمـربي الأول نـبي هـذه الأمة شـأن عظيم مع العبادة ومواصـلة القلب بالله عز وجل، فهو لا يـدع وقتًا يمر دون ذكر لله عز وجل وحمـده وشـكره والاستغفار والإنابـة، ومع أنه قد غفر له ما تقـــدم من ذنبه وما تـأخر، فهو العبد الشـكور والنـبي الشـاكر والرسول الحامـد، عـرف قـدر ربه فحمـده ودعاه وأناب إليه وعلم قيمة زمنه فاسـتفاد منه وحـــرص أن يكـــون عـــامرًا بالطاعة والعبادة.

عن عائشة رضي الله عنها قـــالت: «**كان رسـول الله ﷺ يـذكر الله تعـالى على كل أحيانه**»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قـال: كنا نعد لرســول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مـــرة: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**»[2].

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) رواه أبو داود.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سـمعت رسـول الله يقـول: «**والله إني لأستغفر الله وأتـوب إليه في اليـوم أكثر من سبعين مرة**»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قـال: كنا نعد لرسـول الله في المجلس الواحد مائة مـرة **«رب اغفر لي، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»**[2].

وتقول أم المؤمنين أم سلمة عن أكثر دعاء رسول الله إذا كان عندها: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[3].

---

1 (?) رواه البخاري.
2 (?) رواه الترمذي.
3 (?) رواه الترمذي.

الجار

أكـرم به جـوار رسـول الله فقد كـان الجـار له منزلة عظيمة في نفس الرسـول عليه الصلاة والسلام، فقد قال عليه الصلاة والســلام: «**مــازال جبريل يوصــيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[1].

وأوصى أبا ذر رضي الله عنه بقولــه: «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فــــأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**»[2].

وحذر من أذية الجار فقال عليه الصـلاة والسلام: «**لا يـدخل الجنة من لا يـأمن جاره بوائقه**»[3].

وهنيئًا لجــار قــال عنه النــبي : «**من كــان يــؤمن بالله واليــوم الآخــر، فليحسن إلى جاره**»[4].

---

1 (?) رواه البخاري، ومسلم.

2 (?) رواه مسلم.

3 (?) وراه مسلم، البوائق: الغوائل والشرور.

4 (?) رواه مسلم.

حسن المعاشرة

عن عائشة رضي الله عنها قـــــــالت: «**كـــان النـــبي إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقـول؟ ولكن يقـــول: ما بـــال أقـــوام كـــذا وكذا؟**»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل على رســـــول الله وعليه أثر صـــفرة، وكـــان رســـول الله قل ما يواجه رجلاً في وجهه شـــيء يكرهـــه، فلما خـــرج قـــال: "**لو أمـــرتم هـــذا أن يغسل ذا عنه**»[2].

عن ابن مســـعود رضي الله عنه قـــال: قـــال رســـول الله : «**ألا أخـــبركم بمن يحرم على النـــار، أو بمن تحـــرم عليه النار؟ ترحم على كل قريب هين لين سهل**»[3].

---

1 (?) أخرجه الترمذي.

2 (?) أخرجه أبو داود وأحمد.

3 (?) رواه الترمذي.

أداء الحقوق

الحقوق على الإنسان كثيرة، فهذا حق لله وآخر للأهل وثالث للنفس وهناك حقوق للعباد فكيف يا ترى قسم الرسول وقته واستفاد من يومه؟

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(1)].

1 (?) متفق عليه.

شجاعته وصبره

لرسول الله السهم الوافر والقدح المعلى في الشجاعة نصرة لهذا الدين وإعلاء لكلمة الله عز وجل، وجعل ما أنعم الله عليه من نعم في مكانها الصحيح فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: «**ما ضرب رسول الله بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادمًا ولا امرأة**»[1].

ومن شجاعته وقوفه وحيدًا يدعو لهذا الدين أمام كفار قريش وصناديدها وثباته على هذا الدين حتى نصره الله ولم يقل ليس معي أحد، والقوم كلهم ضدي، بل اعتمد على الله عز وجل واتكل عليه وصدع بأمر الدعوة، وكان أشجع الناس وأمضاهم عزمًا وإقدامًا، كان الناس يفرون وهو ثابت.

كان النبي يتعبد في غار حراء ولم ينله أذى ولم تحاربه قريش ولم ترم أمم

---

1 (?) رواه مسلم.

الكفر بسهم واحد من كنانتها إلا عندما صدع رسول الله بأمر التوحيد ووجوب إفراد العبادة لله عز وجل وتعجب الكفار بقولهم: **أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا** فهم يتخذون الأوثان وسائط بينهم وبين الله عزوجل كما قال تعالى عنهم: **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** وإلا فهم مقرون بتوحيد الربوبية **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**.

وتأمل أخي المسلم في الشرك الذي عم وطم في بلاد المسلمين من دعاء الأموات والتوسل بهم والنذر لهم والخوف والرجاء حتى تقطعت حبالهم مع الله عز وجل بسبب شركهم وإنزال الأموات منزلة الحي الذي لا يموت **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**.

ونطل من بيته إلى الجبل المقابل من

الجهة الشمالية: إنه جبل أحد حيث الموقعة العظيمة التي تبدت فيها شجاعة الرسـول وثباته وصبره على الجراح التي أصـابته في تلك الموقعة العظيمة حيث أدمي وجهه الشريف وكسـرت رباعيته وشج رأسه عليه الصلاة والسلام.

يحـدثنا سـهل بن سـعد رضـي الله عنه عن جـرح رسـول الله فيقـول: «أما والله إني لأعـرف من كـان يغسل جـرح رسـول الله ، ومن كان يسـكب المـاء وبما دووي، قال: كانت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله تغسـله وعلي بن أبي طـالب يسـكب الماء بالمجن، فلما رأت فاطمة أن المـاء لا يزيد الدم إلا كـثرة أخـذت قطعًا من حصـير وأحرقتها وألصـــقتها فاستمسك الـــدم وكســرت رباعيته وجــرح وجهه وكســرت البيضة على رأسه»[1].

والعبـــاس بن عبد المطلب رضي الله عنه يقـــول عن رســـول الله في معركة

---

[1] (?) رواه البخاري.

حنين: لما انطلق المسلمون مـدبرين طفق رسـول الله ﷺ يـركض بغلته نحو الكفـار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع، وكـان يقـول حينئـذ: «**أنا النبي لا كـــذب، أنا ابن عبد المطلب**»[1].

أما الفـارس الشـجاع صـاحب المواقف المشـهورة والوقـائع المعروفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو يقول عن رسول الله ﷺ: «كنا إذا احمر البـأس، ولقي القـوم القوم، اتقينا برسـول الله ﷺ، فما يكـون أحد أقرب إلى العدو منه»[2].

ولصـــبر الرســـول ﷺ في أمر الـــدعوة مضرب المثل والقدوة الحسنة، حـتى أقـام الله عز وجل صـــروح هـــذا الـــدين وطفقت خيله تجـول الجزيـرة وبلاد الشـام وما وراء

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) رواه البغـــوي في شـــرح الســـنة، وانظر صحيح مسلم 3/1401.

النهـــر، وحـــتى لا يـــدع بيت مـــدر ولا وبر إلا دخله.

قـال رسـول الله ﷺ: «**لقد أخفت في الله وما يخاف أحـد، ولقد أوذيت في الله وما يـؤذى أحـــد، ولقد أتت علي ثلاثـــون من بين يـــوم وليل وما لي ولبلال طعـام يأكله ذو كبد إلا شــيء يواري إبط بلال**»[1].

ورغم ما ورد إليه من الأمـوال والغنـائم وما فتح الله على يديه فإنه ﷺ لم يـــــورث دينـــارًا ولا درهمًا إنما ورث هـــذا العلم وهو مـيراث النبـوة فمن شـاء أن يأخذ من هـذا الميراث فليقدم وليهنأ به من ميراث.

عن عائشة رضي الله عنها قــالت: «**ما ترك رسول الله ﷺ دينـارًا ولا درهمًـا، ولا شــــاةً، ولا بعــــيرًا، ولا أوصى بشيء**»[2].

***

---

1 (?) رواه الترمذي وأحمد.

2 (?) رواه مسلم.

دعاؤه ﷺ

الـدعاء عبـادة عظيمة لا يجـوز صـرفها لغير الله عز وجل، والدعاء إظهـار الافتقـار إلى الله والتـبرؤ من الحـول والقـوة، وهو سمة العبوديـة، واستشـعار الذلة البشـرية، وفيه معـــنى الثنـــاء على الله عز وجـــل، وإضـافة الجـود والكـرم إليه ولـذلك قـال الرسول ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[(1)].

وكان عليه الصلاة والسلام كثير الـدعاء والتضرع وإظهار الافتقـار إلى الله عز وجل يستحب جوامع الكلم والدعاء.

وكان من دعائه عليه الصـلاة والسـلام: «**اللهم أصـــلح لي ديـــني الـــذي هو عصمة أمـر، وأصـلح لي دنيـاي الـتي فيها معاشـــي، وأصـــلح لي آخـــرتي الـــتي إليه معـــادي، واجعل الحيـــاة زيـــــادة لي في كل خـــــير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**»[(2)].

---

1 (?) رواه الترمذي

2 (?) رواه مسلم.

ومن دعائـــه عليه الصـــلاة والســـلام:
«**اللهم عالم الغيب والشـهادة فـاطر السـمـوات والأرض، رب كل شــيء ومليكه أشـهد أن لا إله إلا أنت أعـوذ بك من شر نفســـي، ومن شر الشـيطان وشـركه وأن أقـترف على نفس سوءًا أو أجره إلى مسلم**»[1].
وأيضًـــا من دعائه ﷺ: «**اللهم اكفــني بحلالك عن حرامك وأغنــني بفضـلك عمن سواك** »[2].
ومن دعائه لربه عز وجـــــل: «**اللهم اغفر لي وارحمــــني وألحقــــني بالرفيق الأعلى**»[3].
وكـان عليه الصـلاة والسـلام يـدعو ربه كثيرًا في الرخاء والشـدة وقد سـقط رداءه من على منكبيه وهو يدعو يـوم بـدر بالنصر للمسلمين والهزيمة للمشركين، وكان عليه الصـلاة والسـلام يـدعو لنفسه ولأهل بيته

1 (?) رواه أبو داود.
2 (?) رواه الترمذي.
3 (?) متفق عليه.

ولأصحابه ولعامة المسلمين.

نهاية الزيارة

بعد أن تعطرت الأسماع بذكر أحاديث الرسول وحسن سيرته وجهاده وبلائه، فإن للنبي الكريم حقوقًا يجب أن تؤدى له حتى نكون أتممنا الخير وأخذنا الطريق السوي، ومن حقوقه على أمته.:

الإيمان الصادق به قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به ووجوب طاعته والحذر من معصيته ، ووجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه، وإنزاله منزلته بلا غلو ولا تقصير، واتباعه واتخاذه قدوة وأسوة في جميع الأمور، ومحبته أكثر من الناس والأهل والمال والولد والناس جميعًا، واحترامه وتوقيره ونصرة دينه والذب عن سنته وإحياؤها بين المسلمين ومحبة أصحابه الكرام والترضي عنهم والذب عنهم وقراءة سيرتهم، ومن محبته الصلاة عليه، قال الله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**

لقوله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه: خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ**» فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت، قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[1].

وعلى أمة محمد ﷺ أن لا تكون بخيلة في حق هذا النبي الكريم فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليه ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**»[3].

---

1 (?) أخرجه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.
2 (?) رواه الترمذي.
3 (?) رواه الترمذي.

الوداع

ونحن نغادر هذا الـبيت العـامر بالإيمـان القائم على الطاعـة، تبقى لنا سـنة رسـول الله معلمًا لمن أراد النجــاة وطريقًا لمن أراد الهداية، ولنا وقفات مع علمـاء السـلف وحرصهم على الاتباع لهذه السنة العظيمة، لعل الله أن يرزقنا حسن التأسي وجميل الاقتداء.

قــال إمــام أهل الســنة أحمد بن حنبل رحمه اللـــه: ما كتبت حـــديثًا إلا وقد عملت به، حـتى مر بي أن النـبي احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت[1].

وقال عبد الـرحمن بن مهـدي: سـمعت سـفيان يقـول:ما بلغـني عن رسـول الله حديث قط إلا عملت به ولو مرة.

وعن مسلم بن يسار قـال: إني لأصـلي في نعلي وخلعهما أهـون علي، وما أطـالب

---

1 (?) السير 11/213.

بذلك إلا السنة[1].

وللأخ الحبيب في الختام حـديث عظيم، قـال ﷺ: «**كل أمـتي يـدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «**من أطـاعني دخل الجنـة، ومن عصاني فقد أبى**»[2].

اللهم ارزقنا حب نبيك ﷺ وموافقته على الطريق المسـتقيم، لا ضـالين ولا مضـلين اللهم صل على محمد ما تعـــــاقب الليل والنهـــار، اللهم صل على محمد ما ذكـــره الـــذاكرون الأبـــرار، اللهم اجمعنا مع نبينا محمد ﷺ في الفـــردوس الأعلى وأقر أعيننا برؤيته والشــرب من حوضه شــربة لا نظمأ بعدها أبدًا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

1 (?) السير 7/242، كتـاب الزهد للإمـام أحمد ص 355.

2 (?) رواه البخاري.

الفهرس